

فتح القدير

214 - { أم } هنا منقطعة بمعنى بل وحكى بعض اللغويين أنها قد تجيء بمثابة همزة الاستفهام يبتدأ بها الكلام فعلى هذا معنى الاستفهام هنا التقرير والإنكار : أي أحبستم دخولكم الجنة واقعا ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم فتصبروا كما صبروا ذكر □ سبحانه هذه التسلية بعد أن ذكر اختلاف الأمم على أنبيائهم تثبتنا للمؤمنين وتقوية لقلوبهم ومثل هذه الآية قوله تعالى : { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم □ الذين جاهدوا منكم } وقوله تعالى : { ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون } وقوله : { مستهم } بيان لقوله : { مثل الذين خلوا } و { البأساء والضراء } قد تقدم تفسيرهما والزلزلة : شدة التحريك يكون في الأشخاص وفي الأحوال يقال : زلزل □ الأرض زلزلة وزلزالا بالكسر فتزلزلت : إذا تحركت واضطربت فمعنى زلزلوا : خوفوا وأزعجوا إزعاجا شديدا وقال الزجاج : أصل الزلزلة : نقل الشيء من مكانه فإذا قلت : زلزلته فمعناه كررت زلزاله من مكانه وقوله : { حتى يقول } أي استمر ذلك إلى غاية هي قول الرسول ومن معه { متى نصر □ } والرسول هنا قيل : هو محمد A وقيل : هو شعيب وقيل : هو كل رسول بعث إلى أمته وقرأ مجاهد والأعرج ونافع وابن محيص بالرفع في قوله : { حتى يقول } وقرأ غيرهم بالنصب بالرفع على أنه حكاية لحال ماضية والنصب بإضمار أن على أنه غاية لما قبله وقرأ الأعمش : { وزلزلوا حتى يقول الرسول } بالواو بدل حتى ومعنى ذلك أن الرسول ومن معه بلغ بهم الضجر إلى أن قالوا هذه المقالة المقتضية لطلب النصر واستبطاء حصوله واستطالة تأخره فبشرهم □ سبحانه بقوله : { ألا إن نصر □ قريب } وقالت طائفة في الكلام تقديم وتأخير والتقدير : حتى يقول الذين آمنوا متى نصر □ ويقول الرسول A ألا إن نصر □ قريب ولا ملجئ لهذا التكلف لأن قول الرسول ومن معه : { متى نصر □ } ليس فيه إلا استجال النصر من □ سبحانه وليس فيه ما زعموه من الشك والارتياب حتى يحتاج إلى ذلك التأويل المتعسف .

وقد أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة أن هذه الآية نزلت في يوم الأحزاب أصاب النبي A يومئذ وأصحابه بلاء وحصر وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : أخبر □ المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها وأخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم فقال : { مستهم البأساء والضراء } فالبأساء : الفتن والضراء : السقم وزلزلوا بالفتن وأذى الناس إياهم وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في قوله : { ولما يأتكم مثل الذين خلوا } قال : أصابهم هذا يوم الأحزاب حتى قال قائلهم : { ما وعدنا □ ورسوله إلا غرورا } ولعله يعني بقوله حتى قال قائلهم : يعني

قائل المنافقين كما يفيد ذلك قوله تعالى : { إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ
زاعجت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بإﻻهنا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا
زلزالا شديدا * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا اﻻه ورسوله إلا غورا }